ويستحيل تعطيل هذه الأسماء والصفات.. إذ هى أسماء حسنى، وصفات كمال، ونعوت جلال. فلابد من ظهور آثارها فى العالم.. وقد أشار إلى هذا أعلم الخلق بالله صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم»..

وأنت إذا فرضت كل من يحتاج إلى الرزق معدوماً، فمن يرزق الرزاق سبحانه.. وإذا فرضت المعصية والخطيئة منتفية من العالم، فلمن يغفر؟ وعمن يعفو؟ وعلى من يتوب ويحلم؟ وإذا فرضت الفاقات كلها قد سدت، والعباد كلهم أغنياء معافون، فأين السؤال والتضرع والابتهال؟..

وأين الإجابة، وشهود الفضل والمنة، والتخصيص بالإنعام والإكرام..

ونستطيع أن نضيف إلى تفسير ابن القيم أن الحديث يشرح أصدق ما وصل إليه اليوم علم النفس. فنحن بنى البشر نتكون من غرائز تفرض علينا سلطانها بحيث تصبح الذنوب ضرورة إفرازية أو إفرازا ضرورياً لهذه الغرائز فالخطأ يكاد يكون وظيفة إنسانية، لا يستطيع أحد الفكاك منها، وعدم الذنب يعنى أننا نفقد طبيعتنا التى نعيش بها ونحيا عليها..

من أجل ذلك كان الخلاص من الذنوب بشكل كلى أمراً غير وارد على الإطلاق..

ثم إن الحديث مبالغة مشكورة فى إبراز عفو الله، وإبراز تفاهة الذنوب مهما عظمت أمام رحمة الله..

على أن التوفيق بين الرجاء فى رحمة الله والخوف من عقابه يحتاج إلى مهارة بالغة فى تناوله..

ولهذا كان الرسول ﷺ يعالج مواقف التخويف بمواقف الرحمة والأمل..

يمر عليه السلام ذات يوم ومعه نفر من أصحابه بأم تحتضن وليدها في شغف وضمخ وجهه الغض بقبلاتها الرحيمة، فيتملى النبى هذا المشهد الفاتن الحانى، ويقول لأصحابه: **«أترون هذه طارحة ولدها فى النار؟ قالوا: كلا يا رسول الله.. فيقول: والذى نفسى بيده لله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها» !!..**

صحيح أن القرآن يخوفنا من عذاب الله ــ **«فذكر بالقرآن من يخاف وعيد»** ــ **«ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد»** ــ **«وأن عذابى هو العذاب الأليم»..**

وآيات التخويف كثيرة، بيد أن آيات الرحمة تأخذ مكانها عليها بين آيات الترهيب..

وحسبنا الآية التى ذكرناها آنفا يصف الله بها المؤمنين بأنهم الذين **«يرجون رحمته ويخافون عذابه»..**

ويحدثنا الرسول فيقول: **قال الله عز وجل - أى فى حديث قدسى «أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حيث يذكرنى. والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة. ومن تقرّب إلىّ شبراً تقربت إليه ذراعاً.. ومن تقرب إلى ذراعاً.. تقربت إليه باعاً.. وإذا أقبل إلىّ يمشى أقبلت إليه أهرول»** رواه البخارى ومسلم واللفظ لمسلم..

ولنطالع هذا الحديث الذى يحكى فرح الله العظيم برجوع عبده الضال إليه..

«لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل بأرض دوية - بفتح الدال وتشديد الواو والياء وهى الفلاة القفر - نزل بأرض دوية مهلكة. معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام.. فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، فطلبها. حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش قال أرجع إلى مكانى الذى كنت فيه فأنام حتى أموت.. فوضع رأسه على ساعده ونام. ثم استيقظ، فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه، فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته»!!..

أى عواطف بارة ودافئة، هذه التى يواجه بها رسول الله مشكلة الخطيئة فى حياة الإنسان..

والله.. ما أروع رحمته وهو يدثر بها عرى الخطاه وما أكثر بره وحنانه ببنى الإنسان وعليهم!!..

ما أكرمه من إله وما أحناه ..

عباده يبارزونه بالعظائم، وهو يكلؤهم على فرشهم، يخلق ويعبد غيره، ويرزق ويشكر سواه. خيره إلى العباد نازل، وشرهم إليه صاعد. يتحبب إليهم بالنعم، وهو الغنى عنهم، ويتبغضون إليه بالمعاصى، وهم أفقر شىء إليه !!..

أهل ذكره أهل مجالسته، وأهل شكره أهل زيادته، وأهل طاعته أهل كرامته، وأهل معصيته لا يقنطهم من رحمته.. إن تابوا إليه فهو حبيبهم، وإن لم يتوبوا فهو طبيبهم، يبتليهم بالمصائب، ليطهرهم من المعايب.. الحسنة عنده بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. والسيئة عنده بواحدة، فإن ندم صاحبها عليها واستغفره غفر له..

يشكر اليسير من العمل، ويغفر الكثير من الزلل.. رحمته سبقت غضبه، وحلمه سبق مؤاخذته، وعفوه سبق عقوبته. أرحم بعباده من الأم بولدها..

وأنه كما رأينا وسمعنا لشديد الفرح بتوبة التائبين وهى فرحة بر ولطف وإحسان لا فرحة محتاج إلى توبة عبده منتفع بها. فهو سبحانه لا يستكثر بعبده من قلة، ولا يتعزز به من ذلة، ولا ينتصر به من غلبة، ولا يعده لنائبة، ولا يستعين به فى أمر..

وصدق سبحانه إذ يقول :

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾

(سورة الإسراء الآية : ١١١)

• • •

والتوبة تعنى وضع الحسنة مكان السيئة ففى حديث الرسول :

« اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » ..

وقوله لمعاذ : **« أحدث لكل ذنب توبة وإذا أسأت فأحسن »** وقوله لأبى الدرداء : **« إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها » ..**

إن الرسول عليه السلام يريد من المسلم أن يثابر على بناء ذاته ويريد أن تكون توبته إيجابية ، فهى ليست مجرد الندم والعزم على عدم العود إلى الذنب .. بل هى بناء لشخصيته بوضع الحسنة مكان السيئة والمعروف مكان المنكر ..

والحسنات التى تأخذ مكانها بدل السيئات كثيرة ــ فالاستغفار حسنة ، وذكر الله حسنة ، وفعل الخير حسنة ، والصلاة حسنة ..

جاء رجل إلى النبى عليه السلام فقال له : إنى عالجت إمرأة فى أقصى المدينة دون أن أمسها ــ لعله يقصد أنه أشبع نفسه من النظرات الكثيرة المشتهية أو لامس بعض أجزاء جسمها ــ فاقض

فى ماشئت.. فقال له عمر رضى الله عنه: لقد سترك الله لو سترت نفسك، ولم يجبه النبى بشىء، فقام الرجل فانطلق.. فدعاه النبى إليه ثم تلا عليه هذه الآية:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾

(سورة هـود الآية: ١١٤).

فقام رجل من القوم وقال: يا نبى الله، هذا له خاصة فقال الرسول: **بل للناس كافة.**

إن وضع الحسنة مكان السيئة بعد التوبة منها والإقلاع عنها هو آية على أن التائب جاد فى توبته:

ومن يجد الطريق إلى المعالى
فلا يذر المطى بلا سنام
ولم أر فى عيوب الناس عيبا
كنقص القادرين على التمام

ومهما تكن الذنوب فإنها لا تعاظم رحمة الله أبداً..

جاء رجل إلى النبى فقال له: «**أرأيت من عمل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئاً، وهو فى ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا أتاها ـ الحاجة الصغيرة، والداجة الحاجة الكبيرة ـ فهل لذلك من توبة؟ قال له الرسول: فهل أسلمت؟ قال نعم،**

وأنى لأشهد ألا إله إلا الله وأنك رسول الله .. قال له النبى: تفعل الخيرات، وتترك السيئات، فيجلهن الله لك الخيرات كلهن.. قال الرجل: وغدراتى وفجراتى؟.. قال النبى نعم وغدراتك وفجراتك فصاح الرجل الله أكبر ومازال يكبر حتى توارى..

تلك عظمة الإسلام الخالدة، وعظمة «محمد» الماجدة.

وصدق الله حين قال: **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين.**

وصدق الرسول حين قال: **إنما أنا رحمة مهداة..**

١٩

عن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ، ليتوب مسىء النهار.. ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » ..

(رواه مسلم والنسائى)

من أشرف المقامات التى يعبر بها المسافرون إلى الله مقام التوبة ..

والتوبة هى بداية العبد ونهايته ..

ومنزلها أو المنازل وأوسطها وآخرها .. ومهما ينتقل العبد بين منازل القرب ومقامات الوصول ، ومهما يترق فى تلك المنازل والمقامات ، فإنه لابد مستصحب معه منزل التوبة ومقامها ..

يقول ربنا سبحانه : **« وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » ..**

ويلفت ابن القيم رضى الله عنه أنظارنا إلى أن هذه الآية مدنية . خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه ودعاهم إلى التوبة بعد إيمانهم وصبرهم ، وهجرتهم وجهادهم . ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه ، وأتى بأداة «لعل» المشعرة بالترجى إيذانا بأنه لايرجو الفلاح إلا التائبون ..

وفى آية كريمة أخرى يقول عز وجل : **«ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون»** ..

فالذين يتقاعدون عن التوبة وينسونها أو يتناسونها ، ظالمون لأنفسهم ، خاسرة أعمالهم ..

• • •

ونحن فى لقائنا هذا مع رسول الله ﷺ نرتوى بحديثه عن التوبة ونزداد يقينا بفضل الله علينا ، ورحمته إيانا ..

يقول عليه الصلاة والسلام :

«يا أيها الناس توبوا إلى الله ، فوالله إنى لأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» ..

وكان أصحابه يعدون له فى المجلس الواحد قبل أن يقوم : **«رب أغفر لى وتب علىّ إنك أنت التواب الرحيم»** مائة مرة ..

إن التوبة رجوع .. والرجوع هنا يكون إلى الله العلى الأعلى ..

والذى يستنكف عن التوبة ويتأباها إنسان قد خسر نفسه ودينه ..

والتوبة لاتكون فقط للمذنبين. بل هى كالاستغفار للذين لاذنوب لهم أيضاً ..

ويندر أن تجد من لاذنب له. وحتى إن وجد، فحاجته إلى التوبة لاتقل عن حاجة المذنبين ..

يقول الرسول عليه السلام :

«لن ينجو أحد منكم بعمله .. قال أصحابه: ولا أنت يا رسول الله ؟؟ قال: ولا أنا .. إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل» ..

والتوبة تعنى أنك نادم على عصيانك الله، آسف على ضعفك أمام نفسك والشيطان ..

وهذا الندم وحده كاف لأن يمنحك الله عفوه، ما دمت قد وجدت مكان حلاوة المعصية مرارة الندم ..

ومن ثم، فالفرح بالمعصية وتشهيها يعنى أن توبتك قد باءت بخذلان ..

يقول ابن القيم: الفرح بالمعصية دليل على شدة الرغبة فيها، والجهل بقدر من عصاه، والجهل بسوء عاقبتها وعظم خطرها. ففرحة بها غطى ذلك كله. وفرحة بها أشد ضرراً عليه من

مواقعتها.. والمؤمن لاتتم له لذة بمعصية أبداً ولا يكتمل بها فرحة. بل لا يباشرها إلا والحزن مخالط قلبه ولكن سكر الشهوة يحجبه عن الشعور به.. ومتى خلى قلبه من هذا الحزن، واشتدت غبطته وسروره، فليتهم إيمانه، وليبك على موت قلبه، فإنه لو كان حيا لأحزنه إرتكابه للذنب وإذا فارق الاحساس بهذا، فما لجرح بميت إيلام !!..

والتوبة إقرار أكثر مما هي اعتذار.. لأن الاعتذار محاجة عن الخطيئة، وترك الاعتذار إعتراف بها..

يقول الشاعر العربي:

وما قابلت عتبك باعتذار
ولكني أقول كما تقول
وأطرق باب عفوك بانكسار
ويحكم بيننا الخلق الجميل

ولسان حال التائب هذه الضراعة: «اللهم لا براءة لي من ذنب فأعتذر، ولا قوة لي فأنتصر، ولكني مذنب مستغفر»..

ويبشرنا الرسول ﷺ بأن التوبة قادرة على محو الخطايا مهما تكثر وتتعاظم.

يقول عليه السلام:

«لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء، ثم تبتم لتاب الله عليكم».

أهناك دعوة لاستثمار رحمة الله أوسع وأصدق من هذه الدعوة ؟! ..

إن التوبة من أعظم هبات الله للمؤمنين، وإنها خير وأزكى من كل ما في الأرض من ذهب وفضة. ولولاها لهلك المؤمنون تحت مطارق اليأس ومقارع القنوط.. لكن الله البار بعباده يعطيهم ثم يعطيهم ثم يعطيهم حتى لا يبقى لمتخلف عذر..

يحدثنا ابن عباس رضى الله عنهما فيقول: قالت قريش للنبى ﷺ ادع لنا ربك يجعل لنا جبل الصفا ذهباً.. فإن أصبح ذهباً إتبعناك، فدعا النبى ربه. فأتاه جبريل عليه السلام وقال له: **«إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً. ومن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذاباً، لا أعذبه أحداً من العالمين.. وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة. فقال الرسول: بل باب التوبة والرحمة»** ..

• • •

والتوبة باب مفتوح بين العبد وربه.. بيد أن له ساعة يغلق فيها فلا يقبل من العبد توبة ولا اعتذار... ؟

يقول الرسول عليه السلام:

«إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر».

فعمرك بطوله وبعرضه فرصة لك لكى تتوب .. أما الوثوب على الأنام، وإرجاء التوبة إلى غد وبعد غد حتى يبغتك الموت فقد ضاعت الفرصة وأفلتت منك إلى الأبد ..

إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر أى مالم تبلغ روحه الحلقوم ..

من أجل هذا يحذرنا الرسول ﷺ بقوله : **« واحذروا التسويف فإن الموت يأتى بغتة ، ولا يغترن أحدكم بحكم الله عز وجل ، فإن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ، ثم تلا هذه الآية :**

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

[سورة الزلزلة الآية : ٧ ، ٨] .

ونحن مطالبون بالتوبة مهما تكن ذنوبنا قوة وضعفا ، وبدءاً وعودا ..

فالتوبة جلاء مستمر لقلوبنا . ذلك أن الخطايا تدع قلوبنا سوداء شيئاً فشيئاً ..

يقول عليه السلام :

« إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كان نكتة سوداء فى قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر حيقل منها ، وإن زاد

زادت حتى يغلف بها قلبه فذلك الران الذى يذكر الله فى كتابه (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) ».

فالمثابرة على التوبة تعنى غسل القلب أولاً بأول حتى يظل كالمرآة المجلوة تنعكس عليه آيات الهدى ودعوات الرشاد أما الغفلة أو التغافل عن التوبة فإنه يملأ القلب صدأ أو ظلاماً.

والعودة إلى الذنوب بعد التوبة عنها ومنها لا تعنى أن باب التوبة قد أغلق دوننا..

فالرسول يقول:

« وما عملت من سوء فأحدث له توبة ».

فنحن ضحايا لقوى شريرة عاتية هى النفس الهاوية والشيطان المغرى..

وقد نتوب من ذنب ونعكف على ذنوب أخر، وحتى هذا لا ينبغى أن يقعدنا عن التوبة أبداً..

يقول الرسول عليه السلام: **«إن عبداً أصاب ذنبا. فقال يا رب إنى أذنبت ذنباً فاغفره.. فقال له ربه: علم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له.. ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا آخر فقال: يارب إنى أذنبت ذنباً آخر فاغفره لى. قال ربه: علم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به.**

فغفر له.. ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً آخر، فقال: يارب إنى أذنبت ذنباً فاغفره لى.. قال ربه: علم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرته لعبدى فليعمل ما شاء».

هذا الحديث يرويه البخارى ومسلم عن أبى هريرة، ولا يحق لنا أن نرفضه بسبب آخر عبارة وردت فيه «**قد غفرت لعبدى فليعمل ما شاء**» لأن معنى هذه العبارة أن ذلك العبد عرف طريقه إلى الله بتوبته العاجلة والمبكرة من كل ذنب يأتيه.. وهو فى الحديث لم يصر على ذنب واحد وتاب منه توبة الكاذبين. بدليل قول الرسول «**ثم أصاب ذنباً آخر**»..

والإنسان منا عرضة للخطأ إلى منتهى حياته، ويجب أن يجدد لكل ذنب توبة صادقة لا يعود بعدها إلى هذا الذنب أبداً وهو إذا فعل ذلك كان عرضة لمغفرة الله ورحمته دوماً وهذا معنى قوله **فليعمل ما شاء...**

وليس معناها أبداً أنه يحمل من الله إذنا بالمرور إلى المعاصى والخطايا. فذلك مما لا يخطر على عقل رشيد..

يقول عليه السلام:

«التائب من الذنب، كمن لا ذنب له».

وفى هذا إبانة مسفرة لواسع رحمة الله، وعظيم فضله وإحسانه..

٢٠

عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: من استغفرني، وهو يعلم أني ذو قدرة على أن أغفر له، غفرت له ولا أبالي»..

(رواه مسلم والترمذى وابن ماجة والبيهقى)

بين يدى العلى الكبير، يقف الجبار خاضعاً، والمستكبر خاشعاً، والآبق طائعاً.. لأنه العظيم الذى انفرد بالعظمة.. الجليل الذى تفرد بالجلال..

له الخلق والأمر، وإليه يرجع الأمر كله. خلق عباده وهو بهم أعلم.. وحنا عليهم وهو بهم أكرم.. وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى..

والإنسان ما بين إرادة للخير تدعوه وإرادة للشر تناديه.. وصدق الله القائل: **«ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها»..**

وأن الضعف البشرى حقيقة لا ريب فيها ..

يقول الله فى كتابه الكريم :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾

(سورة النجم الآية : ٣٢)

فالاشارة إلى نشأتنا من الأرض تومىء إلى طبيعتنا الطينية ، إذ من الطين خلقنا بكل ما يعنيه هذا من تلوث بأوحال الطبيعة البشرية وإنحرافاتهم ..

والإشارة إلى حياتنا الأولى ــ حياة الأجنة ــ فى بطون أمهاتنا ، إيماءة واضحة إلى قانون الوراثة الذى يعمل فينا ويوجه حياتنا .. وكما قال أحد الكتاب الغربيين : « كل امرىء منا عربة ، يركبها جميع أسلافه » !! ..

وقد جعل الله لضعفنا الأخلاقى والسلوكى سبيلاً إلى الخلاص والنجاة والقوة ..

هذا السبيل يتمثل فى الاستغفار والتوبة ..

وفى لقائنا اليوم مع الرسول عليه السلام نصغى إليه وهو يحبب إلينا الاستغفار ويدعونا إليه ..

أما التوبة فقدْ كانا لنا معها لقاء ..

• • •

يحدثنا الرسول عن رب العزة قوله :

« يا عبادى كلكم مذنب إلا من عافيت. فاستغفرونى أغفر لكم .. وكلكم فقير إلا من أغنيت ، فأسألونى أعطكم .. وكلكم ضال إلا من هديت ، فاستهدونى أهدكم » ..

وطلب الله من العبد أن يستغفره تكريم للعبد وأذان له من الله أنه لا سبيل ــ أى سبيل ــ إلى طرده عن باب الله مادام يقرع هذا الباب دوماً بكفه الوجلة الضارعة .. أجل إن أبوابه مفتحة لنا جميعاً طائعين وعصاة . أبراراً وخطاة ..

إنه بالليل وبالنهار ينادينا : **« هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من مسترزق فأرزقه » ؟ ..**

وهو يريدنا بكل ما فينا من طين ونور .. فلا يأس أبداً من فضله ، ولا خوف قط من غياب جوده وعطائه وبره .. إذا ناديناه لبّانا ..

وكما يقول بعض العارفين : « نعم الرب ربنا ، لو أطعناه ما عصانا » !! ..

والاستغفار إقراراً من العبد بعبوديته لله ، وطرح لكل ذاته بين يدى مولاه ..

من أجل ذلك كان الرسول عليه السلام يتفنن فى إنتقاء الكلمات التى يستغفر بها ربه..

أنظروا — مثلاً — هذا الاستغفار:

« اللهم أنت ربى، لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت.. أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك على، وأبوء بذنبى فاغفر لى، فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت ..

هذه تعاويذ يغردها الرسول بين يدى ربه وخالقه، ويضمنها كل ما فى روحه من شفافية ونور، وكل ما فى فؤاده الذكى من ضراعة وابتهال..

وللاستغفار جماله وجلاله. إنه كما ذكرنا إقرار منك بالعبودية لله، وإجلال لله ما بعده إجلال..

ونحن بحاجة دائمة وملحة لاستغفار ربنا، فآثامنا كثيرة وهمتنا قصيرة..

وقديماً قال بعض العارفين: «لا تعجب ممن هلك، كيف هلك. ولكن أعجب ممن نجا كيف نجا» ؟..

ولقد كان الرسول ﷺ يستغفر الله ويتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة.. وقيل مائة مرة فى المجلس الواحد مع أصحابه..

فلم كان الرسول يستغفر ؟؟..

لقد سئل فأجاب : «**أفلا أكون عبداً شكوراً**» ؟! ..

فاستغفار الله يعنى الاعتذار إليه كما يعنى شكره والثناء عليه ..

ولنا ـ نحن الخطائين ـ يكون الاستغفار زورق النجاة الذى يتخطفنا من فم الموج الكاسح المغرق ..

يقول الرسول عليه السلام :

«**ألا أدلكم على دائكم ودوائكم؟ ألا إن داءكم الذنوب، ودواءكم الاستغفار**» ..

ونحن طوال حياتنا فى معركة ضروس مع النفس والهوى والشيطان . وقد بلغ الشيطان فى وقاحته أن تهددنا أمام الله بإغوائنا وصدنا عن سبيل الهوى والحق ..

ففيما يرويه الإمام أحمد ، عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : «**قال إبليس : وعزتك لا أبرح أغوى عبادك ، ما دامت أرواحهم فى أجسادهم .. فقال الله : وعزتى وجلالى ، لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى**» !! ..

• • •

والاستغفار لا ينفعنا فى الاعتذار عن خطايانا وحسب . بل هو سبيل لجلب منح الله والاستزادة من فضله ..

يقول عليه السلام: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب».

ولقد روى السابقون أن رجلاً ذهب إلى الامام الحسن البصرى يشكو إليه الجدب، فقال له: استغفر الله.. وذهب ثان يشكو الفقر، فقال له: استغفر الله.. وذهب ثالث يشكو جفاف بستانه: فقال له: استغفر الله.. ثم تلا عليهم هذه الآية المباركة:

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾

[سورة نوح الآيات: ١٠: ١٢].

فالاستغفار طريقنا إلى المغفرة، كما هو طريقنا إلى الفيض الإلهى والعطاء الذى لا ينفد ولا يفيض..

ثم هو يوم القيامة رفيقنا ودليلنا إلى جنة عرضها السماوات والأرض. أعدت للمتقين..

يقول عليه السلام:

«طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفار كثير».

ويقول :

«من أحب أن تسره صحيفته، فليكثر فيها من الاستغفار» ..

نحن ـ كما ذكرت ـ ضعاف أمام مغريات الحياة ومشوقات الخطيئة ..

وهذا ما يجعلنا أكثر ما نكون حاجة إلى الاستغفار ..

ومن حسن حظنا أن لنا رباً كريماً يقول لنا فى حديثه القدسى :

«يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرت غفرت لك ولا أبالى» !! ..

فالاستغفار مفتاح طريقنا، وسياج حياتنا، وموضع أملنا ورجائنا ..

يروى الصديق أبو بكر عن رسول الله قوله : **«ما من عبد يذنب ذنباً، فيحسن الطهور ـ أى الوضوء ـ ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر له، ثم تلا عليه السلام هذه الآية :**

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

[سورة آل عمران الآية : ١٣٥] .

يجب أن يكون استغفارنا أكثر من خطايانا .. ويجب أن يردده الجنان قبل ترديد اللسان.. ويجب أن يصدر عن نفس وآلهة خاشعة ضارعة..

وبدون ذلك لن يكون استغفارنا ذا موضوع. وسيكون كما قالت السيدة رابعة العدوية: «استغفاركم يحتاج إلى استغفار» !!..

وكلما أكثرنا من الاستغفار، كلما أطفأنا لهب الشهوات فى نفوسنا، وكلما آب الشيطان عنا خاسراً مدحوراً..

يحدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه فيقول: كنا مع الرسول فى مسيرة، فقال لنا: **«استغفروا الله فاستغفرنا.. فقال: أتموها سبعين فأتممناها.. فقال لنا الرسول أما من عبد ولا أمة يستغفر الله فى يوم سبعين مرة وإلا غفر الله له سبعمائة ذنب.. وقد خاب من عمل فى يوم وليلة أكثر من سبعمائة ذنب»!!..**

• • •

إلا أن حياتنا موكب متصل من الذنوب والخطايا.. الكبير منها والصغير.. الخفى منها والمعلن..

فمن شاء فليأخذ حظه من هذه المنحة المعطاة..

ومن شاء فليحرم نفسه.. وحسابه على الله.

٢١

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «سئل رسول الله ﷺ: أى العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله وبرسوله.. قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد فى سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور»..

(رواه البخارى ومسلم)

ها هم أولاء يتوافدون من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله..

الحجيج الذين ذهبوا إلى مؤتمر الله ليطهروا من خطاياهم، ولينالوا الجزاء الأوفى من مغفرة ربهم ورحماته. ومن عطائه وهباته.. يقفون حيث وقف رسول الله، ويهللون حيث هلل ويلبون حيث لبى وكبر..

عنهم عن الحج يتحدث اليوم رسول الله ﷺ فى لقائنا معه..

يسأله سائل من أصحابه عن أفضل الأعمال، فيجيبه عليه السلام: **أفضل الأعمال: الإيمان بالله وبرسوله..** ثم يستزيد السائل: وماذا بعد الإيمان بالله وبرسوله؟ فيجيبه النبى: **الجهاد فى سبيل الله..** ويسأل السائل للمرة الثالثة: ثم ماذا ويجيبه الرسول: **حج مبرور..**

ففى الذروة إذن من هذا الدين يقف الحج المبرور..

والإيمان بالله يأتى أولاً، لأنه حيث لا إيمان فلا عمل..

ومع الإيمان يأتى الجهاد. حيث تلقى الأنفس الطاهرة مناياها ومصارعها تحت وهج السيوف..

ومع الإيمان والجهاد يجىء الحج بكل أنواره وأسراره ليأخذ مكانه العالى بين أركان الإسلام الحنيف..

ها هم أولاء يتوافدون من كل فج عميق. خرجوا من كل شىء حتى من ملابسهم وخلفوا الدنيا وراءهم ظهريا، وآووا إلى ركن شديد. الله قبلتهم ومثواهم ومأواهم وما يبتغون!!..

يطوفون بالكعبة المشرفة، ويسعون بين الصفا والمروة.. ثم يجتمعون من كل الأجناس والألسنة والألوان فوق عرفات كالدر المنثور، ثم يفيضون من عرفات ليذكروا الله عند المشعر الحرام.. أفواج تلو أفواج، وفيضان من البشر الذين أسلموا أنفسهم لله، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، وجاءوه شعثاً غبرا، لا رفث، ولا فسوق، ولا جدال..

ذلكم هم عباد الله، وهذا موكبه العظيم..

• • •

ولهؤلاء الكرام من الله الجزاء الأوفى. فهم لا يرجعون من الحج كما ذهبوا إليه موقرين بالخطايا والمآخذ. بل يضع الله عنهم أصرهم، والاغلال التى كانت عليهم بعد أن تمسهم يد الله برحمة، وتغشاهم السكينة، ويغمرهم الثواب..

يقول الرسول عليه السلام: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق غفر الله ماتقدم من ذنبه وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»!.

بل هنا وعد وعهد بعطاء أكثر إتساعاً وغدقاً..

وهو ماثل فى قول الرسول عليه السلام: «**الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»..

كما هو ماثل في قول الرسول لعمرو بن العاص عندما جعل الله الإسلام فى قلبه فخرج ساعياً إلى المدينة ليسلم. ولندعه يروى لنـــا بلسانه..

«.. قلت: يارسول الله. ابسط يمينك أبايعك، فبسط يده، فقبضت يدى، فقال عليه السلام: مالك ياعمرو؟ قلت: أردت أن أشترط. قال: اشترط ماذا؟ قلت: أن يغفر

لي.. قال: أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله» ؟؟.

هذه بشريات يسوقها النبى عليه السلام لوفد الله من الحجاج الذين خرجوا جماعات ووحدانا يرجون من الله رحمته، ويخافون عذابه، ويطمعون منه فى مغفرة شاملة وعطاء كريم..

ويبلغ الحج فى تقدير الرسول منزلة الجهاد.. فالحسن بن على رضى الله عنهما وعليهما السلام يحدثنا أن رجلاً جاء إلى النبى عليه السلام، فقال له: أني جبان وإني ضعيف، أى أنه لا يقدر على الجهاد، فقال له الرسول: **هلم إلى الجهاد لا شوكة فيه.. الحج..**

وحين تسأله عائشة رضى الله عنها قائلة: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل الأعمال.. أفلا نجاهد؟.. فأجابها الرسول: **لكن أفضل الجهاد حج مبرور..**

وفى حديث آخر يقول عليه السلام: **«جهاد الكبير، والضعيف والمرأة ــ الحج والعمرة»..**

• • •

والنفقة التى ينفقها الحاج فى سبيل الله طوعاً ومحبة، لا تذهب أدراج الرياح. بل ترد إليه مضاعفة. فلا يخشين أحد الفقر بسبب

ما ينفقه فى الحج . فإن الله قد ضمن لكل منفق فى سبيله خلفاً جميلاً ..

وفى نفقة الحج بالذات يبشرنا الرسول ﷺ بحسب مآب ، وحسن ثواب ..

يقول عليه الصلاة والسلام :

« تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة . وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة » ..

إن الحجاج والعمار وفد الله . دعاهم فأجابوا وسألوه فأعطاهم ..

يقول الرسول ﷺ : **« وفد الله ثلاثة ــ الحاج ، والمعتمر ، والغازى » ..**

فليس مؤمنا من يخشى الحج على ماله . ومن يظن أن الحج طريق إلى الفقر ..

إن الله يعطى فى العبادات العادية الحسنة بعشر أمثالها ، فكيف بعبادة هى والجهاد سواء ؟ كيف بمن أسماهم الرسول ﷺ : **« وفد الله »** ؟ كيف بمن قال عنهم الرسول ﷺ : **« يغفر للحاج ولمن يستغفر له الحاج » ؟! ..**

إن الذين يتركون الحج ، وينأون عن أداء فريضته ضنا بمالهم وحرصاً عليه إنما يضعون أموالهم فى مهب الرياح والعواصف .. فما

من عبد يضن ويشح بنفقة ينفقها فيما يرضى الله، إلا أنفق أضعافها فيما يسخط الله..

وإن الرسول ليضرب مثلاً للكعبة وهى تشتكى إلى الله فتقول: **يارب قل عوادى، وقل زوارى. فيقول الله لها: إنى خالق بشراً خشعاً سجداً يحنون إليك، كما تحن الحمامة إلى بيضها..**

هذا مثل يضرب به الرسول ﷺ، وأنه ليفىء علينا من الأمل ما يجعل أفئدتنا تكاد تطير شوقاً إلى بيت الله الحرام. ومثوى رسوله عليه الصلاة وأزكى السلام..

إن الرسول يسخو بالوعود الصادقة على الذين يولّون وجوههم شطر المسجد الحرام ويسعون إليه فرحين مستبشرين. فهو يخبرنا أن من خرج من بيته يؤم البيت الحرام لا يرفع قدما، ولا يضع أخرى إلا كتب الله بذلك له حسنة، ومحا عنه خطيئة..

وأما ركعتاه بعد الطواف فهما كعتق رقبة من ولد اسماعيل عليه السلام.. وطوافه بين الصفا والمروة كعتق سبعين رقبة. وأما وقوفه عشية عرفات، فإن الله يهبط إلى السماء الدنيا فيباهى بوفده الملائكة ويقول: **عبادى جاءونى شعثا من كل فج عميق يرجون جنتى، فلو كانت ذنوبهم كعدد الرمل، أو كقطر المطر، أو كزبد البحر لغفرتها.. ثم يقول: أفيضوا عبادى مغفوراً لكم ولمن شفعتم له..**

وأما رميه الجمار فله بكل حصاة يرميها تكفير كبيرة من الموبقات.. وأما نحره فمذخور له عند ربه.. وأما حلقه رأسه فله بكل شعرة حلقها حسنة، ويمحى عنه بها خطيئة.. وأما طوافه بعد ذلك بالبيت، فإنه يطوف ولاذنب له..

يقول عليه السلام: **«يأتى ملك فيضع يديه بين كتفى الحاج ويقول له: اعمل فيما تستقبل، فقد غفر لك ما مضى»..**

وينظر الرسول إلى الحاج نظره إلى المجاهد، ويعتبر من مات فى الحج شهيداً له وضع الشهداء..

فعن ابن عباس رضى الله عنهما ـ أن رجلاً رفصته ناقته بعرفة فمات. فقال الرسول ﷺ:

«أغسلوه بماء وسدر وكفنوه بثوبيه، ولاتخمزوا رأسه ـ أى لاتغطوه ولا تحنطوه ـ فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً»..

أى مزايا وأى عطايا تعدل تلك التى منحها الله الحجاج من عباده إنهم فى المكان الأعلى عند الله. وما كبر مكبر منهم على نشز، ولا أهل مهل على شرف إلا أهل ما بين يديه وكبر حتى ينقطع منه منقطع التراب..

• • •

ونلاحظ أنه كلما تحدث الرسول ﷺ عن الحج وصفه بالمبرور.. إذن هناك حج غير مبرور على المسلم أن يتجنب الوقوع فيه.

وأولى أمائر الحج المبرور أن تكون نفقته من حلال.. ذلك شرط يتوقف قبول الحج على وجوده..

يقول عليه السلام: «**إذا خرج الحاج حاجاً بنفقة طيبة، ونادى لبيك اللهم لبيك.. ناداه مناد من السماء: لبيك وسعديك، زادك حلال، ومالك حلال، وراحلتك حلال، وحجك مبرور غير مأزور.. وإذا خرج بالنفقة الخبيثة ونادى: لبيك اللهم لبيك. ناداه مناد من السماء: لا لبيك، ولا سعديك. زادك حرام، ونفقتك حرام، وحجك مأزور غير مبرور**»..

إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً.. والذين ينمون ثرواتهم بالحرام عليهم ألا يطمعوا من الله فى قبولها حتى لو أنفقت فى طاعته. ذلك أن الله غنى عن عباده. وإذا توسل العبد إلى الطاعة بالمعصية كان حرياً أن يرفض عمله، وأن يركس بما كسب ونال..

ويصف القرآن الحج المبرور بأنه الذى لا رفث فيه ولا فسوق ولا جدال..

وهو أيضاً الحج الذى لاعجب فيه ولا خيلاء ولا رياء..

ثم هو الذى قال عنه الرسول مبشراً ومهنئاً **«ليس له ثواب دون الجنة»..**

٢٢

عن النبي ﷺ قال: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها!!»

(رواه الإمام أحمد)

من كان يعرف فى تقدير العمل بل فى تقديسه حديثاً كهذا الحديث، فليأتنا به.. ولم يكن يعرف، فليعترف بأنه أمام أعظم معلمى البشر على الاطلاق، وأنه أمام تكريم للعمل لا يضاهيه تكريم.

وهاتوا كل ما كتب فلاسفة البشر وعباقرتهم عن توكيد الأمل وتقديس العمل، فإن تجدوا مثل هذا الذى قال الرسول عليه صلاة الله وسلامه.

إن «الفسيلة» هى الواحدة من صغار النخل تغرس فى الأرض لتنمو وتكبر فتصير فيما بعد نخلاً ذات أكمام.

والرسول ﷺ جاء ليهدى الناس من الظلمات إلى النور، وليحثهم على عبادة الله وطاعته. ولطالما كان يحدث أصحابه عن

الآخرة دار الرجعى والمآب وعن أهوالها الشداد .. تلك الأهوال التى تذهل أمامها **« كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هو بسكارى. ولكن عذاب الله شديد »** ..

فإن كان الناس يمارسون أعمالهم فى الحياة ، وقامت القيامة بغتة ، فماذا ينتظر من الرسول أن يقول لهم ؟ نحن نتصور أنه سيقول : كفوا عما تعملون ، وفروا إلى الله مستغفرين نادمين .

فإذا أخلف الرسول الظنون ، وقال للذين قامت عليهم الساعة : اتموا ما بأيديكم من عمل فذلك أعجب ما يقال فى هذا المقام !! وذلك أعظم ما يفاء على العمل من تقدير وتكريم ! ..

• • •

ونستطيع أن نعتبر هذا الحديث الذى صدرنا به الفصل معجزة من معجزات الإسلام. فليست المعجزة ما كان خارقاً للعادات وحسب ، بل هى أيضاً ما كان خارقاً فى التوجيهات .. ونحن تجاه هذا الحديث أمام توجيه خارق .. أمام حالة خارقة من حالات الأمر والتكليف . فما معنى أن تقوم الساعة التى تعلن إنتهاء الحياة ثم نؤمر بألا نذهل فى سكراتها وغمراتها عما بأيدينا من أعمال ؟! ..

أنظروا ..

إذا قامت الساعة بغتة ، وكان أحدكم يتهيأ لغرس **« فسيلة »** فليحذر أن يلقيها من يده ، لأن القيامة قامت والحياة انتهت لا ..

بل عليه أن يتم عمله، ويغرس فسيلته كما لو كان موكب الحياة لا يزال يمضى هادراً.. حتى فى هذه اللحظة المباغتة الرهيبة التى تعلن نهاية الحياة، وتعلن قيام الساعة لتجزى كل نفس ما عملت وما كسبت. حتى فى هذه اللحظة الحاسمة الداهمة حيث لا يصير للعمل جدوى لا سيما إذا تمثل فى زرع نبته أو غرس فسيلة يوصى الرسول الجامع لكل حكمة أن نمضى فى العمل وكأن شيئاً لم يحدث، وكأن الساعة لم تقم!!..

• • •

لقد أحب الرسول ﷺ العمل وعشقه وداوم الحث عليه، والدفع إليه، وفى ذلك مظهر واضح لتكامل شخصيته وتكامل دينه ورسالته..

فالرسول الذى دأبه النسك والعبادة، والذى لم يعرف الدنيا إلا معبراً إلى الآخرة يحفل بالعمل ويحتفى به حفاوة تكاد تجعله، بل هى تجعله نسكاً وعبادة وفريضة من فرائض الدين!! إنه يرى العمل جهاداً فى سبيل الله..

وجميع الأمجاد التى ضفرت للعمل وللعاملين لا تصعد إلى أدنى مستويات التكريم الذى أضفاه الرسول والقرآن على العمل وعلى العاملين.. ذات يوم والرسول جالس بين نفر من أصحابه مر بهم شاب يتفجر بأساً ونشاطاً ومقدرة مسرع الخطى مفتول العضلات وبهر منظره بعض الأصحاب فقال قائلهم متعجباً: يا رسول الله، لو كان هذا فى سبيل الله ؟؟..

فقال الرسول عليه السلام :

«إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً، فهو فى سبيل الله، وإن كان يخرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله. وإن كان يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله. وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة، فهو فى سبيل الشيطان»..

فى هذه الكلمات الوجيزة التى تحدث بها الرسول ﷺ الرجل الذى بهر أصحابه جلده وقوته وفتوته لخص عليه السلام كل ما يمكن أن يقال عن العمل من كلام كثير وأحاديث مفيضة. وفى مثل ومضى البرق وضعتنا كلماته الحكيمة الوجيزة أمام العمل بكل قيمه وكل أبعاده..

• • •

إن العمل الذى يزكيه الرسول ﷺ هو ذلك الذى يخلو من الرياء ومن البطر، ولا تدفعه أنانية ولا جشع، هو ذلك الذى يسد حاجة، ويمنع عوزاً، ويسهم فى عمارة الحياة. هو الذى يبتغى به الإنسان تحقيق الحياة الآمنة فى رزقها، لا الحياة المترفة الطامعة الشرهة.

والعمل الذى كرمه الرسول ﷺ وحض عليه، هو العمل فى كل مجالاته وتخصصاته ــ فى الوظيفة، وفى الحرفة، وفى التجارة،

وفى الزراعة. فى الطب .. فى التدريس .. فى الهندسة .. فى كل ما يزاول البشر من عمل وفى كل ما يمارسون من نشاط شريطة أن يتم فى نطاق الذمة والشرف والإتقان والاستقامة وهذا العمل هو عصب الحياة ومادة بقائها .. ومن ثم فهو واجب الأحياء حتى الرمق الأخير فيهم .. وهو حق الحياة حتى الرمق الأخير فيها.

وهذا هو معنى ومغزى الحديث العظيم :

«إذا قامت الساعة، وفى يد أحدكم فسيلة، فليغرسها».

لقد خسر المسلمون كثيراً حين جهلوا هذا الحديث ومثله من الأحاديث الكثر التى مجد الرسول ﷺ فيها العمل وجعله عبادة وقربى وفريضة.

وبعد أن كنا مصدر إشعاع للحضارة بما بذلنا فى جسارة من جهد فى أعمار الحياة، أمسينا ولا دور لنا فى الأعمال العظيمة التى تتألق فى الحضارة الماثلة ..

أقول : أمسينا، ولا دور لنا إلا دور التابع والعالة لقد مرت بنا عصور جاهلة ومظلمة اهتدينا فيها بغير هدى الاسلام، وران على عقولنا وقلوبنا من التعاليم ما صدنا عن الحياة وجعل التفوق فيها عبثا لا ينبغى للمسلم أن يقترفه ودلانا الجهل بغرور، وظننا أننا سنكون سادة الآخرة بقدر ما نكون فى الدنيا مستضعفين أذلاء .. وصار أمرنا فرطاً !!..

تركنا الكثير من الأعمال التى تدفع بذويها إلى الصفوف الأولى وكانت حجتنا : أن الدنيا ساعة ، فاجعلها طاعة !!..

ونسينا الكلمة العظيمة التى قالها أحد عظماء رعيلنا الأول «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » ..

كما نسينا هذه الكلمات الوضيئة المضيئة :

« إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فليغرسها » !!

● ● ●

إن العمل ــ كل العمل ــ له فى ديننا ما ليس له فى أى دين ، وكما نقول دائماً : لم يذكر الإيمان إلا مقروناً بالعمل الصالح . وليس العمل الصالح وقفاً على العبادات المحضة ، بل هو يظل كذلك العمل فى سبيل الحياة .. إعمارها وإكثارها وإزهارها .. بل إنه من العبادات والقربات .

والمسلم الفاهم لدينه والمخلص له هو الذى يضرب فى الدنيا بذراع قوية باسلة ، ولا يترك مجالاً للابداع والعمل إلا نزح منه الدلاء الكثيرة وأبلى فيه بلاء حسنا ..

وإن خير ما نصنعه لأنفسنا اليوم ــ هو إهاجة القدرة المبدعة الخلاقة وأن نعرف واجبنا نحو تشكيل المستقبل .. هذا المستقبل

الذى لن تصنعه سوى الأعمال الكبيرة والجليلة. الأعمال التى نتخطى بها المخاوف واليأس، ونقتحم بها أسوار المجهول، ونتذكر فيها قول الرسول ﷺ: «**إن الله يحب معالى الأمور**» فنأتى الأعمال العظيمة ونبرز فى مجال التقنية والاختراع والتقدم.

وخير ما تصنعه رؤوس الأموال فى عالمنا الإسلامى توظيفها فى التصنيع ــ من الإبرة إلى الطائرة. وتوظيفها فى فتح مجالات العمل أمام الشباب والعاملين.

إن العمل فى ديننا رسالة. والعمل عبادة المؤمنين الأقوياء وكما سنسأل بعد الموت عما قدمنا لأنفسنا من عبادة، سنسأل عما خلفنا وراءنا من أعمال وآثار.

قال لنا: «**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**» هو الذى قال: «**اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**».

فهـــرس الأحـاديث

الموضوع **الصفحة**

١ـ المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير ١١
٢ـ يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان ... ٣١
٣ـ إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ٤١
٤ـ من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شىء ....
ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء ٥١
٥ـ يقول الله عز وجل يوم القيامة أين المتحابون لجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى ٦٣
٦ـ طوبى للمخلصين . أولئك مصابيح الهدى تنجلى عنهم كل فتنة ظلماء ٧٣
٧ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . سلونى عما شئتم ، فنادى رجل يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ... قال : فما الإيمان ؟ قال : الإخلاص ... قال فما اليقين ؟ قال : التصديق ٨١

الموضوع | الصفحة

٨ــ إنه من يعيش منكم فسيرى إختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتى، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين. عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور. فإن كل بدعة ضلالة ٨٩

٩ــ ما تحت ظل السماء من إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع ٩٧

١٠ــ الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة. فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان ١٠٥

١١ــ إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم فى حوائجهم. أولئك الآمنون من عذاب الله ١١٥

١٢ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا. وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما ١٢٥

١٣ــ أن لكل دين خلقاء وخلق الإسلام الحياء ١٣٣

١٤ــ لكل شىء زكاة. وزكاة الجسد الصوم والصوم نصف الصبر ١٤١

١٥ــ يقول الله عز وجل. كل عمل بن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ١٤٩

١٦ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك.. شهر فيه ليلة خير من ألف شهر. شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة، وأخره عتق من النار ١٥٧

١٧ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقى ربه فرح بصومه .. ١٦٥

الموضوع | الصفحة

١٨ـــ كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ١٧٣

١٩ـــ إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها ١٨٣

٢٠ـــ يقول الله عز وجل: من استغفرنى، وهو يعلم أنى ذو قدرة على أن أغفر له، غفرت له ولا أبالى ١٩٣

٢١ـــ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أى العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله وبرسوله قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد فى سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور ٢٠١

٢٢ـــ إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فليغرسها ٢١١

ويقول : «من سعادة المرء أن يطول عمره، ويرزقه الله الإنابة» ..

والإنابة هي التوبة ــ والتوبة كما قلنا : رجوع ..

وليس ثمة خطأ مهما كبر يتعاظم عفو الله ومغفرته .. وهذا من تمام نعمته على عباده. فلولا التوبة وقبولها لاحترق الناس في نيران اليأس والندم ..

ولقد كان من واسع كرمه وفضله أن جعل الرجاء في رحمته علامة الإيمان ، واليأس من رحمته علامة الكفر .. فقال تعالى :

﴿ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾

[سورة يوسف الآية : ٨٧] .

وقال :

﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾

[سورة الحجر الآية : ٥٦] .

وقال :

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

[سورة الزمر الآية : ٥٣] .